

تجديد الخطاب الديني في المسلسلات المصرية.. غياب لا مبرر له

تنقيح التراث من التشدد عبر الدراما مهمة سهلة طريقها الإتقان



«لعبة نيوتن» تمكن من معالجة مشكلة الطلاق الشفوي دون صخب



السيناريو الجيد كفيلا بتصحيح الأفكار المغلوطة

مع تكاتف الحكومة لتسهيل المهمة، لأن النجاح لن يتحقق دون إرادة سياسية قوية، ولا يمكن التصدي للخرافات بالفن وهناك برامج تلفزيونية تستضيف شخصيات تروج للتشدد الفكري. وإذا تحققت هذه الخطوة بقناعة وإرادة سياسية، فتجديد الخطاب الديني عبر المسار الفني سيحتاج فقط إلى طماننة طاقم العمل أنفسهم بأن تهمة ازدياد الدين لن تطاردتهم كما جرى مع بعض الباحثين الذين تصدوا لتنقيح التراث من الشوائب وطعنوا في صحة بعض النصوص القديمة التي تتمسك المؤسسات الدينية بتدريسها في المناهج وتستخدمها في فتاواها الرسمية.

تغيير الفكر الراسخ عبر التراث بأنه مقدس ويصلح لكل العصور، وطالما أن الناس بدأت تفكر في عدم صلاحية الرؤى القديمة لهذا العصر فهمة التجديد ستكون أكثر سهولة.

ويحتاج هذا النوع من الفن إلى عوامل كثيرة لنجاحه في المهمة، على رأسها الفكرة وألية طرحها للنقاش وطاقم الممثلين الذين يتصدون لها، وبإي طريقة يقدمونها للناس لدفعهم إلى أن يعيشوا المسألة التي يسببها لهم التراث المشوه، بالإضافة إلى الحاجة لموارد مالية ضخمة والوقت الكافي للتجهيز والتحضير لتخرج طريقة الطرح بشكل متسلسل وبسيط ويخاطب كل الفئات المجتمعية دون انتقائية، ويضع المنتج الفني الناس في حيرة بين الالتزام بما يقوله رجال الفتوى من أبواب التراث، وبين إعمال العقل والمنطق كأساس لبلوغ العصرية.

ويمثل الصراع القائم بين الماضي والحاضر جوهر أزمة تجديد الخطاب الديني. لأن التراث القديم يعتمد على النقل ويبلغى العقل ولا يتيح الفرصة للجمهور ليفكر في المعلومة بل يطبقها دون نقاش، وهنا تأتي مهمة الفن، بأن يمنح الناس فرصة التفكير كمدخل لوقف النقل من التراث وتطبيقه والالتزام بنصونه بعيدا عن الأستحياء مع ما يتضمنه من خرافات.

وشدّدت الناقدة الفنية ماجدة خيرالله، على أن تصدي الدراما لعصرية الفكر ونسف المعتقد الخاطي لن يُكتب له النجاح بعمل فني واحد أو اثنين، والقضية تحتاج إلى حملة واسعة والمهمة التي تستهدف تجديد الخطاب وضرب قواعد التشدد بطريقة غير مباشرة، مع حتمية أن تكون هذه الدراما ممتعة للناس لجذبهم لتابعها عن قناعة.

ولفتت لـ«العرب» إلى أن الدراما بإمكانها تحقيق نجاحات كبيرة في القضايا الدينية الجدلية، لكن ذلك يتطلب احترافية في الكتابة والتصوير والديكور والإخراج وكل مكمات العملية الفنية،

التصدي لتجديد الخطاب الديني فنيا وقتا طويلا لبلورة الفكرة وجذب الجمهور عند العرض.

وبرهن زهران على ذلك بأن مسلسل «لعبة نيوتن» عندما أخذ وقته كاملا في التحضير والإعداد وتعميق الأفكار التي يتناولها نجح في جذب الناس للتفكير في بعض القضايا الدينية، لأنه ناقش ضمن القصة ملقا شائكا يرتبط بالطلاق الشفوي والتدين المزيف، والميزة لم يكن مباشرا ولم يشعر الجمهور بأنه يروى لمعالجة مسألة فقهية.

ويعدّ نجاح مسلسل «لعبة نيوتن» الذي تطرّق لمشكلة الطلاق الشفوي نموذجا جيدا للعمل المحترف، حيث عالج القضية دون صخب ونجح في إقناع الناس بأهمية توثيقه، وهي قضية ألحّ الرئيس المصري على إصدار فتوى حولها ولم يستجب الأزهر له، بينما مسلسل واحد قلب الطاولة عليه وجعله مضطرا للتفكير في المسألة.

وأكد عبدالغني هندي عضو مجمع البحوث الإسلامية أن أي مجتمع متدين لا يمانع في إنتاج الفن الذي يحمل رسالة وقيمة دينية، وبإمكان الدراما أن تقترح قضايا شديدة الجدلية والخلاف الفكري وتغيّر قناعات الناس حولها، لكن ذلك يتطلب معالجة دقيقة ومحسوبة بميزان حساس كي لا يتم الاصطدام مع ثوابت تدفع المتشددين لتحريض الناس ضد هذا النوع من الفن.

وأوضح لـ«العرب» أنه «لا ممانع مطلقا من تقديم دراما تستهدف نقد التراث، طالما أن المعالجات منطقية وعقلانية، وميزة وجود إنتاج فني متخصص في ضرب المعتقدات المغلوطة التي شوّعت صورة الإسلام أنها تقضي على صوت المتطرفين في قضايا خطيرة على أمن المجتمع، لأن ما تنتجه المؤسسة الدينية أقل بكثير من حضور الخطاب المتشدد».

خلخة الجمود

يؤكد البعض من النقاد أن إنتاج فن قوي ومؤثر يستطيع التصدي لتنقيح التراث يحتاج إلى سيناريو وقصة يستطيع من خلالها لهما العمل الدرامي دفع الجمهور لأن يكون جزءا من الحدث، ليدخل في نقاش وتفكير متعمق حول قضية تجديد الفكر المرتبط بالقضية المطروحة، وهنا تنجح أول خطوة في خلخة الجمود.

ويعتقد هؤلاء أن مناقشة الدراما الاجتماعية لقضايا دينية أخفقت المؤسسات الرسمية في البحث عن حلول لها، لإغلاق الأفق عند قاداتها أو لرفضهم التفكير في حلول، يتطلب أن تكون الحكمة الدرامية نفسها قادرة على أن تدفع الجمهور للتفكير عن حلول واقعية للأزمة المطروحة.

والوصول إلى هذه المرحلة مهمة شاقة، لكنها بداية لإقناع الناس بحتمية

فتح نجاح بعض المسلسلات التي ناقشت قضايا التطرف والإرهاب في تغيير قناعات البعض، لطرح تساؤلات عديدة حول الأسباب التي حالت دون خوض منتجي الدراما المصرية في تجديد الخطاب الديني وتوسيع مجال النقاش حول القضايا المجتمعية المرتبطة بالعقيدة، كأحد أسلحة مواجهة الأفكار المتطرفة.

أميرة فكري
كاتبة مصرية

القاهرة - يبدو توظيف الدراما في نقد التراث وتنقيحه من الأفكار المتشددة، مهمة قابلة للتطبيق، لكن ربما تنقصها الإرادة الفنية والسياسية، خشية الدخول مع المجتمع في صدامات لا حصر لها، مع أن تجديد الخطاب الديني وفق الكثير من المفكرين والباحثين لن يتحقق سوى بأسلوب الصدمة لينتج عن ذلك نقاش واسع حول القضايا الجدلية.

ونصّادى الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بسرعة تجديد الخطاب الديني والدعوي، لكن بعض المؤسسات الرسمية تتردد في اقتحام هذا الملف جبراً، لأنها تعلم أنه سيكون مثيرا للجدل، ويفتح بابا لمزيد من القضايا للنقاش العام.

معالجة صعبة

عالجت بعض الأعمال الدرامية عددا من الأفكار في السنوات الماضية، لكن المشكلة كانت في أن كل مسلسل تم تقديمه بطريقة أشبه بالعمل الدعوي على طريقة السير الذاتية والشخصيات التاريخية، وهي نوعية من الدراما لم يعد يستهويها الناس.

ويرى مؤيدون لاقتحام الدراما ملف تجديد الخطاب الديني أن النجاحات التي تحققت في مسلسلات تناولت هوامش من القضية، تعزّز فرضية إخراج الفن تقدّما ملموسا وقويا يتخطى دور المؤسسات الدينية شريطة أن يكون تنقيح التراث من الشوائب عبر دراما اجتماعية شديدة في أحداثها، وليست بقوالب فنية جامدة تدفع الجمهور للنفور.

الصراع القائم بين الماضي والحاضر يمثل جوهر أزمة تجديد الخطاب الديني، لأن التراث القديم يعتمد على النقل ويلغي العقل

ويدعم هؤلاء وجهات نظرهم بأن معالجة الفن أزمة تجديد الخطاب من خلال دراما تعتمد على الأعمال الموجهة سوف تكون لها تداعيات سلبية، ولن تحقق الهدف المطلوب، لأن التعامل بهذا الأسلوب ينتج عنه وقوع في أخطاء ويظهر للجمهور أن الأحداث مفتعلة وغير مقنعة.

كما أن الإيحاء بأن الغرض هو فضح الفكر المتطرف قد يستفز الطرف المستهدف من ذلك (المتشددون) ويدفعهم للهجوم بأسانيد قد يقبلها البعض، وبالتالي لا بد من تقديم دراما اجتماعية ذات أهداف دينية بطريقة غير مباشرة.

وقال عمر زهران، وهو مخرج وممثل ورئيس قننة نائل سينما المصرية، إن الدراما لم تقصر فقط في ملف تجديد الخطاب الديني، لكن الفن عموما تراجع إلى حد كبير عن مناقشة قضايا جيدة، إلا في العامين السابقين، حيث قدم مسلسلات اجتماعية مرتبطة بقضايا الإرهاب، مع سيطرة الأفكار التي تناقش القانون والتفكك الأسري.

وأضاف لـ«العرب» أن المسلسلات الاجتماعية بإمكانها معالجة قضايا دينية جدلية وتصحح المفاهيم والأفكار المغلوطة، وما زالت مؤهلة لتحقيق نجاحات كثيرة في هذا الملف، لكن من الضروري أن يتم إنتاجها بشكل متقن، وتأخذ وقتها في التحضير، ويحتاج

«للموت».. انتقام بارد من ماضٍ كئيب باسم الحب

نجح مسلسل «للموت» في جذب الجمهور العربي للقصص والقضايا المجتمعية المظلمة التي عالجها في إطار التشويق والغموض والصدمات، متسلحا بنخبة من الممثلين اللبنانيين والسوريين ضمن الأعمال التي تنتمي إلى خانة ما يسمّى بـ«بان أراب» أو الدراما المختلطة.

بيروت - بين طفولة معذبة ومتعبة مليئة بالفقر والتشرد، وشباب يضج بالطاقة والمال والجمال، تدور أحداث المسلسل المشترك السوري اللبناني «للموت»، الذي عُرض في الموسم الرمضاني الماضي، وتُعد بثه حاليا بعض الفضائيات العربية.

والعمل من بطولة كل من ماغي بوغصن، محمد الأحمد، دانيلا رحمة، خالد القبّس، أحمد الزين، رندا كعدي، صباح الجزائري، كارول عبود، باسم مخنفة، وسام صباغ، بديع أبوشقرا، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الممثلين اللبنانيين الشباب الذين أتاحت لهم الفرصة لإثبات مواهبهم أمام نص الكاتبة نادين جابر وعدسة المخرج فيليب أسمر.

ويروي العمل قصة سيدتين في ريعان الشباب هما ريم وسحر، نشأتا في ظروف صعبة جراء تشردهما وعدم وجود عائل لأي منهما، وسط مجتمع قاس لا يرحم أطفالا أرهقتهم الحياة.

فسحر (ماغي بوغصن) تتعرض وهي صغيرة للاغتصاب من قبل أبيها، وتضطر والدتها إلى نجاتها بتصويب المسدس صوب زوجها المغتصب وصبوب جسدها أيضا. أما ريم (دانيلا رحمة) فيجد هروبها من الميت، تتحول إلى مغتصبة وسارقة، وتتعرض كذلك للاغتصاب، وتحمل بنتا توهمها رفيقتها بأنها توفيت، لكن تكتشف في ما بعد أن سحر وهبتها إلى شقيقها والأخير قام بتربيتها في بيته.

المسلسل يتتبع قصة امرأتين تتأران من الحياة تحت اسم الحب باندفاع من يشعر أن كل من حوله أسهم في حفلة ظلمه

تجمع بين السيدتين علاقة صداقة عميقة منذ الطفولة التي تشاركنا فيها الجوع والخوف والمرض، وحافظتا خلالها على علاقتهما الأخوية مع عمر، وهو شاب شاركهما مرارة الطفولة وعذاباتها.

تتجّه السيدتان للثأر من الحياة تحت اسم الحب والعاطفة باندفاع من يشعر أن كل من حوله أسهم في حفلة ظلمه، ذنبهم أنهم لم يشاركوا الضحية بمعاناتها ولم يتسرعوا بوجعها حتى دون أن يعرفوها بشكل مباشر، لكنهم حتما مروا بجانب ضحية ما ولم يعيروها انتباههم.

وفي حالات كهذه يجز فيها الظلم ظلما آخر أشد وطأة، فالضحية تتحول إلى جلاذ لضحية جديدة، وبدا ذلك بوضوح من أسلوب الاحتيال الذي اتبعته السيدتان لسرقة أموال رجال اغتياها.

تتزوج ريم من هادي (محمد الأحمد)، وهو شاب ناجح يملك شركة للإعمار والبناء، يقع في غرامها منذ اللقاء الأول فيتزوجها بعد تعارف عمره شهران، دون معرفته أن ريم اختارتها قبل أن يختارها واصطادته لتتزوج، والخطة تقضي أن تظهر سحر في حياة هذا الزوج وتجره لخيانة زوجته، وبعد ذلك تكتشف الزوجة الخيانة، فتذهب جزءا من ثروته قبل أن يتابع طريقها نحو زوج جديد وخيانة جديدة ضريبها ثروة رجل مخدوع آخر.



الضحية تتحول إلى جلاذ لضحية جديدة